الجيش الصكباني في ضوء الوثائق العثمانية غير المنشورة

م.د. عمار محمد كاظم فرج
جامعة البصرة - كلية الدراسات التاريخية

مما لا شك فيه ان سلطاناً بكفاءة محمود الثاني (1808-1839) لابد ان يكون استوعب تماماً المشاكل التي كانت تعصف بالدولة العثمانية وباتت سبباً مهماً في عدم استقرارها السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي وانعكاس ذلك التدهور بشكل واضح على طبيعة حكومته.

وقد تأكد لمحمود الثاني ان احد أهم اسباب عدم الاستقرار في الدولة والفساد الذي عم القوات الانكشارية[1] التي كان مقرراً لها ان تكون احد المرتكزات المهمة التي يستند اليها السلاطين في حكمهم وعاملاً اساسياً في الاستقرار ودعم موقف السلطان لا ان تكون ، ما هي عليه انذاك سبباً في الفوضى وارباك عمل الدولة. فقد اصبحت الانكشارية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر قوة عسكرية ضعيفة بعيدة تماماً عن الهدف التي انشأت من اجله وبخاصة ان كبار القادة الانكشاريين ابتعدوا عن ثكناتهم مشتغلين بمهن مريحة لا علاقة لها بالحياة العسكرية وبداؤا ببيع (علوفاتهم) أي مرتباتهم الى الراغبين من الاثرياء كما تباع الاسهم والسندات ولا يجتمعون الا لاثارة الفتن والاضطرابات، او للمطالبة بعزل سلطات وتنصيب اخر[2] ، وعلى الغرار نفسه فقد نظام (التيمار) [3] اهميته بكونه مصدر اساسياً لمد الدولة بالقوات العسكرية عند الحاجة وبخاصة انه تحول الى أشبه ما يكون بالملكية الزراعية الصرفة غير المرتبطة بالدولة.

ادرك محمود الثاني ان عليه التغلب على هذه الصعوبات ، اذ كان يرغب في ان يكون حاكماً قوياً للدولة العثمانية، ومن أستقراء الوقائع التاريخية يتضح ان السلطان كان قد قرر المواجهة[4] . فبعد فترة قصيرة من تسلمه السلطة عمل على استبدال الجيش الانكشاري[5] بقوة عسكرية جديدة تأتمر بأوامره وتدين له وحده بالولاء وليس لها أي ارتباطات[6].

ان محالاوت الاصلاح التي سبقت ان حصلت في القرن الثامن عشر كانت باشراف خبراء اوربيين، وكان اخرها وصية السلطان سليم الثالث(1789-1807)، لولي عهده محمود الثاني [7] والتي جاء فيها: " ... ابني محمود انت

املي،مستقبل الدولة بين يديك، واذا لم تستطيع ان تطبق عسكر جديد سكبان فانه لا يوجد لهذه الدولة نجاح .. اعطى روح جديدة للدولة بواسطة هذا النظام ،وخذ العبرة من اخطائي"[8] لذلك كان من الطبيعي ان يكون اصلاح المؤسسة العسكرية من اولويات خطط السلطان محمود الثاني بالتركيز على انشاء جيش جديد يكون اكثر تنظيماً وتجهيزاً وتدريباً من الانكشارية. عليه يمكن القول ان بدايات تشكيل هذا الجيش كانت في عام 1808، حينما دعى السلطان الى عقد اجتماع في قصره القريب من اسطنبول قادة الجيش وحكام الاقاليم والعلماء ، للتباحث بخصوص تنظيم قوة عسكرية جديدة مستقلة عن الوحدات القديمة[9].

وفي السابع من شهر تشرين الاول من السنة نفسها، اجمع الحاضرون التوقيع على سند الاتفاق التي تألفت من مقدمة وثلاث مواد وملحق . وجاء في المقدمة " تأكيد المجتمعون على ضرورة الوقوف الى جانب السلطان لتنفيذ بنود الوثيقة" ، اما فقرات الوثيقة فقد نصت الاولى على "الزام الانكشارية في اوقات السلم بملازمة ثكناتهم، وخصوصاً غير المتزوجين". في حين اكدت الثانية على " قطع المرتبات عمن لا يخدم حقيقة ، ومنع بيع الوظائف التي كان يمارسها قادة الانكشارية ومنع بيع مرتباتهم"[10] ونصت الثالثة " على ضرورة مواظبتهم على حضور التدريبات العسكرية وتسليحهم بالاسلحة الحديثة". وفي ملحق الوثيقة، أكد السلطان على ضرورة تنفيذ هذه المقترحات بحزم وقوة متحصناً بموافقة المجلس الذي دعا اليه وبالفتوى التي حصل عليها من شيخ الاسلام[11].

ومع الانتهاء من توقيع" وثيقة الاتفاق" ، تم تعيين مصطفى باشا بيرقدار [12] بمنصب الصدر الاعظم في العاشر من تشرين الاول 1808، تعبيراً عن ثقته لانه من مؤيدي انشاء جيش جديد منفصل عن الانكشارية، والقاضي عبد الرحمن باشا وزيراً للحربية في الجيش الجديد بلقب " وزير الامور الجهادية" [13] ، وبمساعدة بعض رجالات النظام الجديد عمرو سبهادي نيزارتين، واختيار بعض اغوات الانكشارية من السكبانية [14]. وتم اختيار منطقة معزولة عن العاصمة لتدريب افراد الجيش الجديد بعيداً عن السكان ووحدات الجيش القديم التي ستنظر بقلق الى هذا الجيش، وتعيين بعض الخبراء الاوربيين لتنظيمهم وفق النهج العسكري الأوربي[15]. مما يدل على ان امر الجيش الجديد في هذه الفترة ليس سراً بين السلطان والصدر الاعظم كما تذكره بعض المصادر. وانما حتى لا يخضعوا الى تأثير الجيش الانكشاري والاختلاط بالسكان مما يضعف ولاءاتهم للسلطان العثماني.

في الرابع عشر من تشرين الاول1808، تم الاعلان عن تأسيس الجيش الجديد باسم (سكبان جديد)[16]. ولم تكن هناك اية معارضة، فيما عدا بعض التساؤلات حول اذا ما كان سكبان جديد سيكون مستقلاً ام جزءاً من الانكشارية. كان الجيش

يضم حوالي ثمانية عشر الف جندي وعدد من الضباط، اكثرهم من النظام الجديد، الذي أسسه محمود الثاني[17].

وقفت الانكشارية الى جانب القوى العثمانية المعارضة لسياسة السلطان محمود الثاني الاصلاحية، ذلك ان تأسيس جيش منظم يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الاخطار المحتملة ، يعني احتمال الغاء قوات الانكشارية. وبهذا اشعر الانكشارية بأن مصالحهم معرضة للخطر[18].

لذلك قام قسم منهم بمهاجمة السراي الحكومية في العاصمة واضرموا النار فيها ، لاجبار الصدر الاعظم الى تسليم نفسه غير انه ظل يدافع هو ومن معه حتى مات حرقاً في تشرين الثاني 1808[19].

ولمعالجة الموقف توجه جيش السلطان تسنده المدفعية لقتال الانكشارية الذين ازداد خطرهم بعد اضرامهم النيران في جوانب العاصمة التي كانت معظم ابنيتها من الخشب[20]. عندها تدخل رجال الدين خوفاً من توسع دائرة الصراع، فطلب شيخ الاسلام وقف اطلاق النار ومعاقبة المسؤولين من الانكشارية عن تلك الاحداث [21]، مقابل الغاء التنظيم العسكري. فقد اكدت اوامر شيخ الاسلام " يدخل القابوقولو (الانكشارية) الى ثكناتهم، ويلغى البادشاه جيش سكبان جديد"[22].

وبذلك فشلت محاولات السلطان محمود الثاني باصلاح المؤسسة العسكرية، لان الاستمرار في مشروعه سيثير رجال الدين وسيصبح موقفه السياسي والعسكري صعباً. عندها اعلن في الثامن عشر من تشرين الثاني 1809 الغاء جيش سكبان جديد، وارسال الجنود الى بلدانهم وتوظيف الضباط[23].

ان التمعن في سياسة السلطان محمود الثاني ، تقود الى القول انه نجح الى حد كبير في اعادة الروح الى المؤسسة العسكرية العثمانية بعد التدهور الذي اصاب تشكيلاتها العسكرية التقليدية فيها، على العكس من رأي بعض الباحثين الذين اعتقدوا ان اجراءات محمود الثاني لا تعدو عن كونها محاولة اصلاح فاشلة في تاريخ الامبراطورية العثمانية[24]. وهو رأي دون ادنى شك، فيه الكثير من التجني على جهوده الكبيرة، ولعل ما كتبه سفير روسيا دي بورجو(Di Borgo) في باريس خير دليل على صحة ذلك، اذ اشار الى ان " تأسيس السكبان الجديد لم يكن سوى تمهيد ضروري للاصلاحات... وانار الطريق للدولة العثمانية" [25]. مما يدفعنا الى القول ان قرار السلطان الغاء جيش سكبان جديد كان محاولة لتهدئة الموقف [26] ، وتاجيل خطة التخلص من الانكشارية الى وقت اخر للتفرغ، لمواجهة الازمات التي اخذت تواجه دولته.

قبل الشروع بمحاولة اصلاح المؤسسة العسكرية ثانية عمل السلطان على تأمين جيهته الخارجية والداخلية، اذ عمل على عقد معاهدة بخارست مع روسيا التي كانت مشتبكة مع الدولة العثمانية في حرب عام 1812[27] ثم تفرغ للقضاء على الحركة الوهابية في سلسلة من العمليات العسكرية مستعيناً بوالي مصر محمد علي باشا[28]، ثم واجه الثورة اليونانية عام 1821 وتدخل الدول الاوربية، والتي ادت

فيما بعد الى بعد الى منح اليونان الاستقلال التام عام 1832[29]، فضلاً عن بعض الحركات الانفصالية في العديد من الولايات العثمانية[30].

ومن تتبع تصرفات السلطان يمكن القول انه قرر التخلص من الانكشارية،وقد عبر عن ذلك المؤرخ هارولد تمبرلي(Harold Temperley) بقوله " ان التأثير الواسع على السلطان محمود الثاني في ابادته للانكشارية ، لم يأت من القصر بل من القبر" [31]. لأنهم سبق وان قتلوا السلطان سليم الثالث ، لاقدامه على اعداد الجيش الجديد ، فضلاً عن تجربة والي مصر محمد علي باشا بالاعتماد على الاساليب الاوربية الحديثة في تنظيم قواته، التي ساهمت مساهمة فعالة في قمع الحركة الوهابية، واحتلال عاصمتهم الدرعية عام 1818 اثرها الكبير على السلطان[32].

لذلك بدأ بتنفيذ خطته ، فبدأ اولاً بالتخلص من زعماء الطريقة البكتاشية [33] المرتبطة بالانكشارية ثم جمع كبار ضباط الانكشارية والاعيان [34] وعدد من رجال الدين المؤيدين لسياسة السلطان محمود الثاني الاصلاحية ، وبين لهم الاساليب غير المنضبطة التي يمارسها الجنود الانكشارية، عارضاً لهم في الوقت نفسه لائحة تضمنت اصلاحاً شاملاً لنظام الانكشارية، وعند سماعهم بتلك الاخبار اعلن الانكشارية تمرداً ضد السلطان في ساحة (آت ميداني)، فأمر الاخير في السادس عشر من حزيران 1826 وحدات المدفعية بضربهم[35]، وفي اليوم التالي اصدر محمود الثاني خط هما يوتي نص على الغاء فرق الانكشارية وكل ما يتعلق بهم[36].

ان مهمة السلطان العثماني في محاربة الانكشارية لم تكن سهلة ذلك لان خصمه كان يجيد المراوغة والكذب مثلما يجيد الحرب. فقد عزف الانكشارية النغمة ذاتها التي عزفها السلطان لتنفيذ مشروعه الاصلاحي وخاصة في الجانب العسكري فكما كان السلطان يتمسك بشرعية اصلاحاته وفق النظم الاوربية والتزامه الثابت بالقيم الاسلامية وتعاليمها وقد عبر عن ذلك احد المصلحين العثمانيين بما نصه : " ... اصلاحاتنا وقوانيننا اساسها الدين"[37] فان الانكشارية اعتبروا " ان كل سلطاناً يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم ويحارب مسلكه وانظمته القواعد الدينية لا يكون صالحاً للملك"[38].

أن استقراءاً دقيقاً للوثائق العثمانية الخاصة بالاصلاحات العسكرية يدلنا على عدة حقائق: ان العديد من الوثائق بهذا الجانب كانت قد صدرت عام 1826، اذ ان الاحداث كانت كثيرة في هذه السنة، ففيها الواقعة الخيرية [39] والاجراءات الانكشارية المضادة، وفيها حل الطريقة الصوفية اليكتاشية، فضلاً عن المراسلات المتبادلة بين السلطان محمود الثاني وسفيره في بطرسبورغ شاكرافندي عشية بدء الاصلاحات العسكرية في الدولة العثمانية ثانيةً، بغية اطلاعه على القوى التي شكلها الروس ، وقد اظهر السلطان اهتماماً بذلك فبعد مرور شهر من الواقعة

الخيرية بعث السفير العثماني في بطرسبورغ تقريراً الى السلطان محمود الثاني تألف من عشر صفحات تطرق فيه الى الامور العسكرية ، وخاصة في روسيا، ثم اخذ يصف بالتفصيل مشاهدته لعمل فرقة من القوزاق في روسيا واعجابه بتنظيمهم وكفاءتهم وتسليحهم، ودورهم في اخضاع العناصر التي كانت تعبث بامن واستقرار روسيا، لذلك اقترح شاكر افندي فكرة تشكيل قوة في اسطنبول على الغرار نفسه، وعندما اطلع السلطان على تقريره رحب بفكرته[40].

والواضح من تاريخ هذا التقرير ومحتواه ، انه كتب قبل الغاء الفرق الانكشارية مما يؤكد ان السلطان العثماني كان قد خطط لتأسيس قوة جديدة قبل الواقعة الخيرية التي اجمع الباحثون على اعتبارها الحدث الاهم في تاريخ الدولة العثمانية الذي عجل في تنشيط الاصلاحات العسكرية ومؤسساتها الجديدة دون صعوبات . ويلاحظ ان السلطان محمود الثاني كان يحرص على اطلاع المجلس الاستشاري ، بمجريات الامور والاجراءات التي اقدم عليها بهذا الخصوص رغبة منه في اشراكهم بتحمل المسؤولية ودعم المجهود العسكري الذي خطط له. ففي حكم همايوني بعثه السلطان في عام 1826 الى مجلسه الاستشاري، يقضي بانشاء قوة عسكرية جديدة مستقلة عن الوحدات القديمة على وفق النظم الاوربية الحديثة سميت عسكر جديد الصكبان [41]. وهي تسمية ذات مدلول عسكري بحت اراد السلطان منه عدم الحاق الضرر بالاصول العسكرية المتبعة سابقاً في الدولة وتميزه عن جيش النظام الجديد الذي أسسه السلطان سليم الثالث لعدم اثارة الحمية الدينية نتيجة القضاء على الانكشارية من جهة وسلاحاً بيد السلطان هدفه منع تجدد فتن الانكشارية من جهة اخرى، وقد عبر عن ذلك احد الباحثين بالقول " عزم السلطان على عمل كبير وهو تشكيل جيش جديد لتأكيد تقارير المجلس الاستشاري بعدم قدرة الجيش الانكشاري الفاسد على مواجهة الاعداء " [42].

ومن اجل توفير الاموال اللازمة للجيش جديد الصكبان، تم تأسيس خزينة مالية مستقلة تحت اسم الايرادي الجديد تستمد مواردها من الاقطاعات العسكرية والضرائب الجديدة المفروضة على الانتاج الزراعي[43]. وتم تعيين سليمان اغا مديراً لعموم الصكباني الجديد، وتولى عمروسهادي الامور المالية والادارية ومنح لقب دفتردار الايراد الجديد، في حين أصبح عبد الرحمن باشا ، المشرف العام على الجنود المدربين للمهام العسكرية ولقب " تعليمي عسكري ناظري"[44].

انتقد عدد من المسؤولين العثمانيين والشخصيات العسكرية هذا الجيش، كونه سيؤدي الى زيادة كفتهم العسكرية مما قد يشجعهم على اثارة الفتن والقلاقل، ويعلق على ذلك احد العسكريين البارزين مخاطباً السلطان " ما لرزم الصكبان الجديد، فتحنا الدنيا بالسيف ارونا العدو وبالسيف نخرجه، من يعادي الاتراك نقضي عليه" [45]. لكن محمود الثاني رد على هذه الانتقادات قائلاً "لقد انتهى الزمن الذي كان البلد يقابل فيه بلداً اخر بواسطة القوة العامة لسكانها ... ان الامة في مجموعها

كالحديد في باطن الارض لا بد من صهره وتفتيته وتشكيله وهذا هو الجيش ... فالواجب يقضي علينا ان نجند العساكر حسبما يتيسر لنا ، وان نستخدمهم على نحو ما يستوجب الموقف وان نوفق بين مصالحنا وحالتنا فلا حاجة لاي انتقاد" [46].

مما لا شك فيه ان تشكيل صكبان جديد لم يكن وليد الصدفة، بل هو حصيلة دراسة دقيقة كان وراءها دوافع منها ما كان دافع عسكري ، اذ ثارت اليونان ضد الدولة العثمانية عام 1822[47]، وقد اراد السلطان تجربة قوة صكبان جديد لمعرفة قدراتهم القتالية، وضمان عدم ضياع اليونان ومنع التدخل الاوربي بحجة الدفاع عن مصالح وحقوق الشعوب السلافية في البلقان [48] ،وكذلك لمجابهة روسيا في حالة نشوب حرب معها ، واعدادهم بشكل اكثر دقة للحروب القادمة [49] ويذكر محمد امين فكري " كان السلطان مهتماً بتشكيل العسكر الجديد... ليكون حاجزاً امام عساكر روسيا اذ حاولت الوصول الى مركز جتالجه القريب من الاستانة"[50].

وعلى الصعيد الداخلي فان السلطان اراد تقوية السلطة المركزية على الولايات العثمانية البعيدة ومحاربة مراكز القوى اللا مركزية وضرب حركات التمرد والعصيان الداخلي، كتمرد علي باشا في البانيا [51] ، ومع تطور الاحداث اخذ التمرد والعصيان طابعاً قومياً ضد الدولة العثمانية. فأراد السلطان محمود الثاني تجربة جيش صكبان جديد في محاربتهم ، فأرسل ما يقارب من الف جندي منهم مع فرقة من المدفعية والخيالة، تمكن من القضاء عليهم [52]. وقد عبر عن هذه الحقيقة مؤرخ معاصر للاحداث بقوله : " ... كانت توزن احادهم بالاف، وافرادهم باضعاف ، يرون الملاحم ولائم"[53].

شعر السلطان محمود الثاني بأن هذا الجيش يمكن توسيعه بسلام ودون أي متاعب ، لذلك شرع بتطبيق المهمة التي نفذها على مرحلتين الاولى عام 1827 والثانية عام 1828. وتم تصنيفه الى ثلاث اصناف: الاولى ، النظامية وتكون مدة خدمتهم اربعة سنوات. اما الثانية وهي المستحفظة فيقضي المتطوع فيها ثمان سنوات. في حين تكون مدة خدمة المتطوع الى الصنف الثالث، الاحتياط سنة واحدة بعد تسريحه من القوات النظامية[54].

وفي التشكيلة الاولى عام 1827 ، تم وضع قانون ضم عشرون مادة لترتيب كل ما يتعلق بالصكبانية من الامور الادارية والانضباطية والقيافة والاسلحة والرواتب وعلى النحو التالي:

١ - المواد (1-3) للتشكيلات الصكبانية وترتيبها
٢ - المواد (4-7) للزي الصكبان واسلحته
٣ - المواد (8-12) للرواتب
٤ - المواد (13-15) للانضباط
٥ - المواد (16-19) للادارة

٦ - المواد (20) عربات المدفعية[55]

يلاحظ ان عدد افراد الجيش الصكباني الجديد بعد هذا التشكيل لم تكن له احصائية دقيقة سوى ما ذكرته احدى الوثائق العثمانية " بأن عددهم في بداية الامر كان يصل الى ثلاثة الاف واربعمائة وستين جندياً وضابطاً" [56].

ومن الجدير بالاشارة ان الصكبانية كان قد اعيد تشكيلها للمرة الثانية عام 1828 تحت اشراف ببهك افندي، وكانت هذه التشكيلة اكبر قواعداً من التشكيلة الاولى، وقد تألفت من مقدمة وثلاثون قانون وملحق. جاء في المقدمة " أعلن مجلس الشورى العسكري وقوفه الى جانب السلطان لتنفيذ هذه المواد بموجب الفتوى التي حصل عليها من شيخ الاسلام"[57]، اما ترتيب القوانين كالتالي:

١ - المواد (1-5) للتشكيلات الصكبانية العسكرية
٢ - المواد (6-8) للاجماعات العسكرية
٣ - المواد (9-10) للزي الصكبان واسلحته
٤ - المواد (11-12) للرواتب
٥ - المواد (13-15) للامور الانضباطية والعقوبات
٦ - المواد (16-20) للامور الادارية
٧ - المواد (21-23) للمكافأت
٨ - المواد (24-25) للمدفعية
٩ - المواد (26-30) تحديد مواعيد حضور افراد الجيش الصكباني بجميع افراده اذا دعاهم السلطان[58].

وفي ملحق التشكيلة، أكد السلطان محمود الثاني على تنفيذ هذه القوانين بكل قوة[59].

ظهر في التشكيلة الثانية زيادة في عدد الجنود الذين انضموا الى الجيش الصكباني، بعد عام 1829، اذ بلغ عددهم مائة وستون الف جندي [60]. ويبدو ان هذا الرقم مبالغ به، وان الزيادة التي حصلت في عدد الجيش الصكباني تعود الى حزم وصرامة السلطان في تطبيق القوانين العسكرية الجديدة.

كان تدريب افراد القوة الجديدة يتم تحت اشراف مستشارين روس وضباط الجيش العثماني[61] في ثكنة خاصة انشأت في (لاوند جفتلك)[62]، وكانوا يعيشون في خيم وملاجئ مبنية من اخشاب وذلك لان معسكراتهم لم يكتمل بناؤها [63]. اما بالنسبة لزيهم فيذكر كريسي (Creasy) انه كان مشابهاً للزي الذي يرتديه الجندي النظامي وعلى الصكباني تحمل نفقات شراءه [64]، اما الباحث نخلة قلفاط فيشير الى ان زي افراد الصكباني الجديد يتألف من قبعات بيضاء تدعى (شوبارة) وحلوها شال احمر، وبنطلونات وجاكيتات قصيرة كلتاهما حمراء اللون [65] وهذا الرأي هو الاقرب للصحة لان ملابسهم على غرار فرق القوزاق الروسية. في حين كان سلاحهم عبارة عن بندقية ذات حربة واحدة ، وهذه الحربة هي الفرق الوحيد عن بنادق الانكشارية، وقد اشارت احدى المصادر ان السلطان محمود

الثاني كان قد قرر اعطائهم الاسلحة في اوقات الحرب والسلم[66]، وهذا يدل على ثقته بهم.

تضاربت اراء المؤرخين بخصوص التنظيم في صفوف الصكبانية، فالمؤرخ العثماني جودت يذكر " ان الجيش الصكباني الجديد كان بعيداً عن التنظيم العسكري، وكان الكثير من قادته لا يعرفون القراءة والكتابة ، بل يجيدون استخدام الاسلحة فقط [67]. اما الباحث لويس(Lewis) فقد وصف المؤسسة الصكبانية بالفوضوية والشغب[68]. ومن ناحية اخرى اكدت الموسوعة الروسية بأن محمود الثاني فشل في تطبيق القوانين المتبعة بين فرق القوزاق الروسية على افراد الصكبانية[69].

وكثيراً ما كان بعض افراد الصكبانية يخرجون عن السيطرة ويشكلون عصابات للسلب وقطع الطرق، وهذا ما توثقه مشاهدات الرحالة ميشاند (Michand) ، فقد أورد ما نصه "ان افراد الصكبانية كانوا يأتون الى القرى ويجمعون ما فيها من محاصيل زراعية، اضافة الى الاستيلاء على اموال الكثير من الاشخاص ... وفي احيان كثيرة يقومون بقطع الطرق بوجه المسافرين الاوربيين" [70].

أتضح من خلال دراسة الوثائق العثمانية ومتابعة الجيش الصكباني، انه كان في حالة تطور مستمر بدأ باصدار قوانين خصصت لتنظيم عملهم مروراً بتكليفهم من قبل الدولة العثمانية للقيام بمهام عظيمة. وقد عبرت احدى الوثائق العثمانية غير المنشورة عن ذلك بقولها " ... اذ خاضت الدولة العثمانية الحرب فان افراد الصكبانية ذات التنظيم والتدريب الجيد ستقوم بخدمات كبيرة .. وسيأتي اليوم الذي ستصبح فيه هذه القوة ذات أهمية " [71]. وكان السلطان قد انتقد الصكبانية في رسالة بعثها الى أحد اعيان القرى التي تعرضت للاعمال السلب والنهب جاء فيها " ... وقسوا على الرعية وصارت فتنة وهزة قوية، ولم يتركوا كبيراً او صغيراً الا قتيلاً ... ولم يتركوا بيتاً ولا دكاناً الا استعملوا التخريب ... وغير ذلك مما يعمي الابصار" [72]. وكاجراء مضاد للتصرفات الصكبانية اللا نظامية أمر السلطان محمود الثاني في حكم همايوني سليمان اغا مدير عموم الصكباني الاسراع في القبض على جنود الصكبانية المسيئين وارسالهم مخفورين الى الاستانة. وأكد السلطان في حكمه ذاته " يامن كنتم فخر الدولة وخدمة الدين والشريعة ... لا ينضم لنا الا الرجال الامناء ... العقاب والموت المؤكد لمن يرتكب السرقة والقتل في مثل هذه الظروف"[73].

أسرع سليمان اغا في تنفيذ اوامر السلطان فالقى القبض على عدد من ضباط الصكبانية وجنودهم، وارسل الى الاستانة يخبرها بذلك. وقد لاقت سرعة ودقة تنفيذ سليمان اغا للاوامر استحساناً كبيراً من قبل السلطان الذي بعث اليه خط همايوني شكره فيه على الجهود التي بذلها في السيطرة على تصرفات الجنود الصكبانية[74].

مما تقدم نستطيع القول ان افراد الجيش الصكباني، كانوا قد لبثوا عند حدود وضعهم الذي خطط له السلطان، رغم انهم صاروا أكثر قوة وأقل انضباطاً، غير

ان السلطان محمود الثاني تدارك هذا الامر باصدار تعليمات، اكدت بضرورة التشدد في اختيار جنود الجيش الصكباني للحد من اعمال السلب والنهب، ومن الواضح أن احداً منهم لم تكن له موارد خاصة باستثناء ما كانوا يتسلمونه من رواتب من خزانة الايراد الجديد[75].

على الرغم من كل التصرفات التي قام بها الجيش الصكباني والمرفوضة من قبل محمود الثاني الا انهم ظلوا موالين للسلطان العثماني، الموقف الذي ظهر واضحاً خلال الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية مع روسيا. وقد عبر عن هذه الحقيقة مؤرخ معاصر للاحداث بقوله " لقد اظهر الجيش الصكباني الجديد مهارات ومناورات قتالية جيدة ... حيرة رجال الحرب الروس" [76]. وأبلغ دليل على تفوقهم هو ان نجاحاتهم الباهرة هي التي دفعت السلطان لان يسير بقوة في الاصلاحات العسكرية الاخرى.

الهوامـــش

(١) الانكشارية: وتعني الجنود الجدد، اسم كان يطلق على فرق المشاة النظاميين التي اسسها العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي، واصبحت اكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوحات الواسعة التي قاموا بها، ويرجع تنظيمهم الى عهد السلطان اورخان بن عثمان الاول(1324-1360م)، أنظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، القاهرة،1987،ص40.

(٢) للتفاصيل عن فساد الانكشارية وتمردهم ضد السلاطين، راجع: نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الانكشارية،بيروت،1991.

(٣) التيمار:منح أراضي نظير خدمة حربية يلزم صاحبه ان يذهب الى الحرب وان يقدم عدد من الجنود اثناء الحرب، انظر: مادة تيمار، دائرة المعارف الاسلامية، ج6،ص331.

(٤) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون:13، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص7.

(٥) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون:12، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص8.

(٦) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون:11، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، ص9.

(٧) لم يرزق السلطان سليم الثالث باولاد لذلك اولى اهتماماً كبيراً باولاد عمه محمود وشقيقه مصطفى، وكان السلطان يفضل محمود ويعده الوريث للعرش، انظر: Stanford Shaw, Between Old and New, The Ottoman Empire under Selim III(1789-1807), Cambridge, 1971, P.15.

(٨) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث: 805، دفتر مهمة:190،تاريخ الوثيقة: 1223هـ،ص89.
(٩) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة:1808م، رقم الوثيقة:9.
(١٠) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة:1808م، رقم الوثيقة:50.
(١١) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامة همايون: 12 ، تاريخ الوثيقة:1223هـ،ص40.
(١٢) يذكر اسمه في بعض المصادر بـ العلمدار، والكلمتان بمعنى واحد وهو حامل العلم، انظر:المصري، المصدر السابق،ص43-44.
(١٣) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: 14، تاريخ الوثيقة:1223هـ،ص60.
(١٤) السكبانية: سكبان كلمة فارسية مكونة من مقطعين الاول"سك" وتعني الكلب، والثاني"بان" وتعني صاحب او حارس، فيكون المعنى الكامل"حارس الكلاب"، انظر: المصري، المصدر السابق،ص107.
(١٥) الارشيف العثماني باستابنول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة:1223هـ،ص50.
(١٦) الارشيف العثماني باستابنول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة:1223هـ،ص55. ..
(17) YILMAZ OZTUNA, IKINIC Mahmud II, Ankara, 1989, S.16.
(١٨) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون: 14 ، تاريخ الوثيقة:1223هـ،ص40.
(١٩) ذكر الشناوي اقدام الصدر الاعظم مصطفى باشا بيرقدار على اشعال النار في اكداس البارود المخزون في احد الابراج التي تحصن فيها فوق السراي، مما ادى الى قتل اعداد كبيرة من الانكشارية نتيجة انفجار البارود، انظر عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها،ج1،القاهرة،1984،ص537.
(20) Edward Creasy, History of the Ottoman Turks ,London ,1877,P.510.
(21) J.K.Birge,The Bektatashi of dervishes,London,1973,P.50
(٢٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانيول،رقم البحث:805،دفترمهمة: 190،تاريخ الوثيقة: 1223هـ، ص88.

(٢٣) فقد تعرض عدد كبير من جنود سكبان جديد لعمليات تصفية من قبل الانكشارية، راجع ..
Oztuna,A.G.E, S.20

(24) Birge,Op.cit.,P.60.

(25) Hans kohn,History of Modern Russia U.S.A, 1959,P.40.

(٢٦) كان السبب الذي دفع السلطان للرضوخ لطلب الانكشارية الحريق الذي اشعلوه وحوفه من امتداده الى العاصمة، انظر: محمد فريدبيك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت،1967،ص199.

(٢٧) توصل العثمانيون والروس في عام 1812 الى تسوية معاهدة انهت الحرب الروسية العثمانية التي نشبت لمصلحة امبراطور فرنسا نابليون بونابرت، عرفت بمعاهدة بخارست التي نصت على ارجاع ولاشيا وملدافيا الى الدولة العثمانية وحصلت روسيا على المنطقة المحصورة بين نهر الدنيسترونهر بروث وهي بساربيا ، واكدت المعاهدة على جميع المعاهدات السابقة باستثناء معاهدة الحلف العثماني-الروسي لعام 1805، التي منعت السفن الحربية الروسية حق المرور عبر مضائق البسفور والدردنيل ، للتفاصيل انظر:
M.S. Anderson, The Great powers and Middle East 1774-1923,London,1970,P.P28-29.

(٢٨) للتفاصيل عن الكيفية التي تم بها القضاء على ال سعود في شبه الجزيرة العربية، انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الاولى 1745-1818،القاهرة،1969عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي، القاهرة،1951

(٢٩) عن الدور الذي مارسته الدول الاوربية في احداث اليونان، انظر:
J.Marriot,The Easten Question,Britain ,1940.

(٣٠) احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، بيروت،1982،ص188.

(٣١) Harold Temperley,England and The Near East, London,1964,P.7.

(٣٢) Henry Dodwell,The founder of Modern Egypt,U.S.A,1976,P.66.

(٣٣) البكتاشية:نسبة الى حاجي بكتاش، وهو الولي الذي استقيت الطريقة البكتاشية منه ومن هنا اوحي اليهم بارتداء لباس راسهم الغريب ذي الزائدة الاسطوانية الطويلة،كما ارتبط تأسيس الجيش الانكشاري بها،انظر:المصري،المصدر السابق،ص47-48.

(٣٤) اعيان: وهم الافراد البارزون في جماعة من الجماعات او حكومة من الحكومات، انظر: المصدر نفسه، ص25.
(٣٥) سونيا محمد سعيد البنا، فرقة الانشكارية نشاتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، القاهرة،2006،ص369-370.
(٣٦) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة، خط همايون، تاريخ الوثيقة:1241هـ،ص25.
(٣٧) الأرشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة، خط همايون، تاريخ الوثيقة، غير مؤرخة ،ص40.
(٣٨) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة:غير مؤرخة،ص41.
(٣٩) يسمي العثماني حادثة القضاء على الانكشارية عام 1826 بـ(الواقعة الخيرية) وهي تسمية تركية للحادث يدل بالحساب الابجدي على تاريخ الواقعة بالسنة الهجرية وتفاؤلهم بها خيراً، انظر: المصري، المصدر السابق،ص234.
(٤٠) انظر نص التقرير الذي ارسله السفير العثماني في روسيا الى السلطان محمود الثاني، مركز الوثائق التاريخية بدمشق، رقم الوثيقة: 1587، تاريخ الوثيقة: 1825م
(٤١) الارشيف العثماني باستانبول،نوع الوثيقة:حكم همايوني،تاريخ الوثيقة:1241هـ،ص4.
(٤٢) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: D-33802، تاريخ الوثيقة:غير مؤرخة.
(٤٣) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: S-2834 ،تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
(44) Robert G.Landan,The Emergence of the Modern Middle East, New York,1970,P.49.
(45) Oztuna,A,G,E, , S.22.
(٤٦) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: M-45661 ،تاريخ الوثيقة:غير مؤرخة.
(٤٧) انكه لهارد، تاريخ الاصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة محمود علي عامر، دمشق،2008،ص33-35.
(48) William Miller,The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London,1966,P.220.
(٤٩) محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ، دمشق،2001،ص195.

(٥٠) محمد امين فكري، رسالة في الاصلاح ، ترجمها عن التركية حمد الله امين، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق تحت رقم (17544/م) ، ورقة 10.
(٥١) وهو من ولاة الدولة العثمانية المحنكين، كان والياً على البانيا وقد خرج عن طاعة الدولة العثمانية معلناً العصيان، انظر: ..
Oztuna,A.G.E, S.30.
(٥٢) بعد نجاح جيش صكباني جديد في مهمته عادت هذه القوات الى اسطنبول مكللة بالنصر، ففرح السلطان من نجاح قواته واغدق عليهم العطايا والهبات، انظر: الارشيف العثماني باستانيول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، رقم الوثيقة: 53/4.
(٥٣) فكري، المصدر السابق، ورقة 11.
(٥٤) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون، تاريخ الوثيقة:1827، رقم الوثيقة: 785،ص90.
(٥٥) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامه همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة ،ص33.
(٥٦) الارشيف العثماني باستانبول، دفترنامة همايون، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة،ص40.
(57) C.J.S Eversly,The Turkish Empire, London,1922,P.P.40-42.
(٥٨) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم الوثيقة: 4302-S ،تاريخ الوثيقة:غير مؤرخة.
(٥٩) وثيقة رقم(20) مقيدة بالدفتر نمره(20) معية تركية بتاريخ 1829م/40/1/8.
(٦٠) وثيقة رقم(40) مقيدة بالدفتر نمره(21) معية تركية بتاريخ 1829م/50/2/7.
(٦١) مجهول، نبذة في ذكر ملوك ال عثمان، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق(مايكروفلم) تحت رقم (7856)، ورقة 154.
(٦٢) منطقة تقع في اطراف اسطنبول
(٦٣) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم البحث: 705، دفتر مهمة: 180، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة،ص40.
(64) Creasy,Op.cit, P.550.
(٦٥) نخلة قلفاط، تاريخ روسيا الحديث،ج3،بيروت،1888،ص390.
(٦٦) محمود شوكت، التشكيلات والازياء العسكرية العثمانية، ترجمة عن التركية يوسف نعيسة ومحمود عامر، دمشق ، 1988،ص88-89.
(٦٧) احمد جودت ، تاريخ جودت ،ج5 ، استانيول ، 1303هـ،ص820.
(68) Brenard Lewis,The Emergence of Modren Turkey,London, 1968, P.120.

(69) Soviet Skaya, Istoricheskaya Encyclopedia, Vol.2, Moskva, 1961,p.60.
(70) Roderic Davison,Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, London,1963,P.45.
(٧١) مركز الوثائق التاريخية بدمشق، رقم الوثيقة: 2880، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
(٧٢) مركز الوثائق التاريخية بدمشق، رقم الوثيقة: 2881، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة.
(٧٣) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون ، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، رقم الوثيقة: 100.
(٧٤) الارشيف العثماني باستانبول، نوع الوثيقة: خط همايون ، تاريخ الوثيقة: غير مؤرخة، رقم الوثيقة: 101.
(٧٥) مجهول ، نبذة في ذكر ملوك ال عثمان، ورقة 155.
(76) Kohn,Op.cit.,P.99.

المصادر والمراجع

أ- الوثائق

1- الوثائق غير المنشورة

(أ) وثائق ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول (محفوظة في مركز التوثيق الاعلامي ، بوزارة الاعلام سابقاً-بغداد، دفترمهمة180،190.

(ب) وثائق الارشيف العثماني باستانبول، خط همايون، دفترنامه همايون: 13، 12، 11، 14.

(ج) وثائق الارشيف معهد الدراسات القومية والاشتراكية-معهد القائد المؤسس سابقاً – بغداد.

١ - وثيقة رقم(20) مقيدة بالدفتر نمره(20) معية تركية 1829م.

٢ - وثيقة رقم(40) مقيدة بالدفتر نمره(40) معية تركية 1829م.

(د) وثائق موجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق في الجمهورية العربية السورية، رقم 1587،2881،2880.

2- الوثائق المنشورة

1- M.S. Anderson ,The Great Powers and Middle East 1774-1914, NewYok,1970.

ب- المخطوطات

1- فكري ، محمد امين: رسالة في الاصلاح، ترجمها عن التركية حمد الله امين، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق تحت رقم(17544/م).
2- مجهول: نبذة في ذكر ملوك ال عثمان، مخطوط في مكتبة الاسد بدمشق (مايكروفلم) تحت رقم(7856).

ج- الكتب باللغة العربية والمترجمة

1- البنا، سونيا محمد سعيد : فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، القاهرة ،2006.
2- الرافعي ، عبد الرحمن: عصر محمد علي ، القاهرة ، 1951.
3- الشناوي ، عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، القاهرة،1984.
4- المحامي ، محمد فريدبيك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت،1967.
5- المصري، حسين مجيب: معجم الدولة العثمانية، القاهرة، 1987.
6- دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ، مادة تيمار ، ج6.
7- شوكت ، محمود : التشكيلات والازياء العثمانية ، ترجمة عن التركية يوسف نعيسه ومحمود عامر، دمشق ،1988.
8- قازان ، نزار : سلاطين بني عثمان بين قتل الاخوة وفتنة الانكشارية، بيروت ، 1992.
9- قلفاط ، نخلة : تاريخ روسيا الحديث ،ج3، بيروت ، 1888.
10- عامر ، محمود علي: الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ، دمشق ، 2001.
11- عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الاولى 1745-1818، القاهرة، 1969.
12- لهارد ، انكه: الاصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة محمود علي عامر، دمشق ، 2008.
13- مصطفى ، احمد عبد الرحيم : في اصول التاريخ العثماني ، بيروت ، 1982.

د- الكتب الاجنبية

1- Birge, J.K : The Bektatashi of dervishes, London,1937.
2- Creasy, Edward: History of the Ottoman Turks, London,1877.
3- Davison, Roderic: Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, London ,1963.

4- Dodwell, Henry: The founder of Modern Egypt, U.S.A, 1976.
5- Kohn, Hans: History of Modern Russia, U.S.A, 1959.
6- Landen, Robert G: The Emergence of the Modern Middle East, NewYork,1970.
7- Lewis, Brenard: The Emergence of the Modern Turkey, London, 1968.
8- Marriot, J: The Eastern Question, Britain, 1940.
9- Miller William: The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London, 1966.
10- Shaw, Stanford: Between Old and New, The Ottoman Empire under Selim III (1789-1807), Cambridge, 1977.
11- Temperley, Harold: England and the Near East, London, 1964.

هـ- الكتب العثمانية

1- جودت ، احمد : تاريخ جودت ، ج5 ، استانبول ، 1303هـ.

و- الكتب التركية الحديثة

1- Oztuna,Yilmaz: Ikinci MAHUD II, Ankara, 1989.